بطريركية الأقباط الأرثوذوكس
الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
معهد الكتاب المقدس بالإسكندرية

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

محاضرة : التجسد فى فكر القديس أثناسيوس الرسولى

المحاضر/ القس بيترنبيل

➢ القديس اثناسيوس الرسولى

- ولد عام 297م
- سيم بطريركا لكرسي الاسكندرية 328م (يبلغ من العمر 31عام)
- مدة البطريركية 45 عام حتى تنيح 373 م (تنيح يبلغ من العمر 76عاماً)
- دافع بكل قوة وحزم عن إيمان الكنيسة ضد الهرطقة الاريوسية التى أنكرت لاهوت المسيح .
- نفي عن كرسية خمس مرات (جملتها 17 عاماً تقريباً)

➢ أشهر القاب القديس اثناسيوس الرسولى

- الرسولى - حامى الإيمان - معلم المسكونة - ثالث عشر الرسل - بطل كنيسة الله
- اثناسيوس ضد العالم ... Athanasius Contra Mundum

➢ قيل عن القديس اثناسيوس الرسولى

1- قداسة البابا شنودة الثالث:

لقد اثبت أثناسيوس إن الإنسان ليس بالمكان وأن المكان لا يحد الشخص مادامت روحه أكبر من المكان فإن مبدأ يقوله شخص أو عقيدة قوية ينشرها قد تنتقل إلى كل مكان ولا يحدها، مكان الذي يعيش فيه وهكذا كان القديس أثناسيوس في كل مكان وأصبح كتابه المشهور "ضد الأريوسيين" يمثل الردود التي يستخدمها المسيحيون في العالم أجمع ضد شكوك أريوس.

2- الأنبا إغريغوريوس المتنيح:

"لم يمت شهيدًا... ولكن عاش في كل يوم شهيدًا للمسيح": لو كان أثناسيوس من حديد لذاب ولو من حجر لتفتت ولكن لم يذب ولم يتفتت بل ظل صامدًا كالجبل الأشم، إنها العناية الإلهية التي جعلته كذلك.

3- القديس كيرلس الكبير

"العالم أجمع احترم قداسته ونقاوة تعليمه وأنه ملأ الأرجاء بعبير مؤلفاته".

4- سقراط (مؤرخ كنسي)

"إن فصاحة أثناسيوس في المجمع النيقاوي قد جرت عليه كل البلايا التي صادفته في حياته".

5- موللر (لاهوتي كاثوليكي)

"أن الإنسان عندما يقرأ حياة أثناسيوس يتمنى لو لم يمت".

لمن كتب القديس اثناسيوس مقالة تجسد الكلمة

- يوجّه القديس أثناسيوس كلامه في مقالة " تجسد الكلمة " لقارئ ما لا يذكر اسمه بالتحديد بل يدعوه « بالطوباوى » و « بالمحب للمسيح » ويصفه بأن لديه غيرة للدراسة والتعلّم.
- وربما توقع القديس أثناسيوس أن يقرأ كتابه هذا ليس فقط غير المسيحيين، بل والمسيحيون أيضًا
- إذ يقول في مطلع الفصل25 « وهذا يكفى للرد على الذين هم من خارج الذين يحشدون المجادلات ضدنا، ولكن لو أراد أحد من شعبنا أن يسأل لا حبًا في الجدل بل حبًا في التعليم..الخ»

هدف كتابة المقالة بالفصل الأول

والآن إذ نشرح هذا الأمر، فإنه يليق بنا أن نبدأ أولاً بالحديث عن خلقة الكون كله وعن االله خالقه، وهكذا يستطيع المرء أن يُدرك أن تجديد الخليقة تم بواسطة الكلمة الذي هو خالق الخليقة في البدء. وهكذا يتضح أنه ليس هناك تناقض في أن يُتمم الآب خلاص العالم بالكلمة ، الذي به خُلِقَ العالم.

تجسد الكلمة 1: 4

أقسام مقالة تجسد الكلمة

- **كتاب تجسد الكلمة (57 فصل) مقسمة لخمس اقسام .**
- **القسم الأول:** الخلق والسقوط (فصول 2 – 5)
- **القسم الثانى:** (القسم الرئيسى) التجسد والفداء ـ موت الكلمة بالجسد على الصليب وقيامته. (فصول 6 – 32)
  1- بالتجسد هُزم الموت (الفصول 6–10)
  2- التجسد جعل االله معروفًا مرة أخرى بين البشر (فصول 11 – 19)
  3- ضرورة وحتمية الموت والقيامة في اليوم الثالث (فصول 21ب – 26)
  4 ـ إثباتات من الواقع على نصرة السيد المسيح على الموت بموته على الصليب وبقيامته (فصول 27–32).
- **القسم الثالث:** أدلة أخرى لحقيقة التجسد ضد دعاوى اليهود (فصول 33 – 40).
- **القسم الرابع:** إثباتات على حقيقة التجسد ضد دعاوى اليونانيين (فصول 41 – 55)
- **القسم الخامس:** ختام (فصول 56 -57)

جولة بمقالة تجسد الكلمة

- **الخلق من العدم وحسب الصورة**

االله صالح بل هو بالأحرى مصدر الصلاح. والصالح لا يمكن أن يبخل بأى شئ . وهو لا يحسد أحدًا حتى على الوجود. ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا، وبنوع خاص تحنن على جنس البشر. ولأنه رأى عدم قدرة الإنسان أن يبقى دائمًا على الحالة التي خُلق فيها، أعطاه نعمة إضافية، فلم يكتف بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض بل خلقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته، حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض من ظل (الكلمة) وقد صاروا عقلاء ، أن يبقوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس.

تجسد الكلمة 3: 3

ولكن لعلمه أيضًا أن إرادة البشر يمكن أن تميل إلى أحد الاتجاهين (الخير أوالشر) سبق فأمّن النعمة المعطاة لهم بوصية ومكان، فأدخلهم في فردوسه وأعطاهم وصية حتى إذا حفظوا النعمة واستمروا صالحين سيعيشوا في الفردوس بغير حزن ولا ألم ولا هم ، بالإضافة إلى الوعدٍ بالخلود في السماء. أما إذا تعدوا الوصية وارتدوا (عن الخير) وصاروا أشرارًا فليعلموا أنهم سيجلبون الموت على أنفسهم حسب طبيعتهم، ولن يحيوا بعد في الفردوس، بل يموتون خارجًا عنه و يبقون إلى الأبد في الفساد والموت .

تجسد الكلمة 3: 4

وهكذا خلق االله الإنسان وكان قصده أن يبقى في غير فساد . أما البشر فإذ احتقروا التفكير في االله ورفضوه، وفكروا في الشر وابتدعوه لأنفسهم كما أشرنا أولاً ، فقد حكم عليهم بحكم الموت الذي سبق إنذارهم به، ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد كما خُلقوا بل إن أفكارهم قادتهم إلى الفساد ومَلَك عليهم الموت. لأن تعدي الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية ، حتى أنهم كما وُجِدوا من العدم هكذا أيضًا بالضرورة يلحقهم الفناء بمرور الزمن .

تجسد الكلمة 4: 4

فالإنسان فانٍ بطبيعته لأنه خُلق من العدم إلا أنه بسبب خلقته على صورة االله الكائن كان ممكنًا أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي ويبقى في عدم فناء لو أنه أبقى االله في معرفته كما تقول الحكمة "حفظ الشرائع تحقق عدم البلى" ، و بوجوده في حالة عدم الفساد (الخلود) كان ممكنًا أن يعيش منذ ذلك الحين كااالله كما يشير الكتاب المقدس إلى ذلك حينما يقول " أنا قلت إنكم آلهة وبنوا العليّ كلكم، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء . تسقطون.

تجسد الكلمة 4: 6

- **السقوط وفساد الطبيعة**

فاالله لم يكتفِ بأن يخلقنا من العدم، ولكنه وهبنا أيضًا بنعمة الكلمة إمكانية أن نعيش حسب االله، ولكن البشر حولوا وجوههم عن الأمور الأبدية، وبمشورة الشيطان تحولوا إلى أعمال الفساد الطبيعي وصاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من فساد بالموت. لأنهم كانوا ـ كما ذكرت سابقًا ـ بالطبيعة فاسدين لكنهم بنعمة اشتراكهم في الكلمة كان يمكنهم أن يفلتوا من الفساد الطبيعي لو أنهم بقوا صالحين.

تجسد الكلمة 5: 1

وبسبب أن الكلمة سكن فيهم، فإن فسادهم الطبيعي لم يمسهم كما يقول سفر الحكمة " االله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة أزليته لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم " . وبعدما حدث هذا بدأ البشر يموتون هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فمن ذلك الوقت فصاعدًا بدأ الفساد يسود عليهم ، بل صار له سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية، وذلك لأنه حدث نتيجة عصيان الوصية التى حذرهم أن لا يخالفوها.

تجسد الكلمة 2: 5

س / لماذا لم يسامح الله الانسان ؟

س / لماذا لم يفنى الله الانسان ؟

يجيب القديس اثناسيوس فى القسم الثانى هذه الاسئلة

الفصل السادس

1- لأجل هذا إذن ساد الموت أكثر وعم الفساد على البشر، وبالتالى كان الجنس البشرى سائرًا نحو الهلاك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الإنسان العاقل والمخلوق على صورة االله آخذًا في التلاشى، وكانت خليقة االله آخذةً في الانحلال.

2- لأن الموت أيضًا، وكما قلت سابقًا ، صارت له سيادة شرعية علينا (بسبب التعدى)، منذ ذلك الوقت فصاعدًا، وكان من المستحيل التهرب من حكم الناموس، لأن االله هو الذى وضعه بسبب التعدى، فلو حدث هذا لأصبحت النتيجة مرعبة حقًا وغير لائقة في نفس الوقت.

3- لأنه (أولاً)، من غير اللائق طبعًا أن االله بعدما تكلم بشئ مرة يتضح أنه فيما بعد كاذب، أى أن االله بعد أن أمر أن الإنسان يموت موتًا، أن يتعدى الوصية ولا يموت، بل تبطل كلمة االله. وسيكون االله غير صادق إن كان الإنسان لا يموت بعد أن قال االله إنه سيموت.

4 - ثانيًا، كان سيصبح من غير اللائق أن تهلك الخليقة وترجع إلى العدم بالفساد، تلك الخليقة التى خُلقت عاقلة، وكان لها شركة في الكلمة.

5- وأيضًا لأنه سيكون من غير الجدير بصلاح االله أن تفنى خليقته بسبب غواية الشيطان للبشر.

6- ومن ناحية أخرى كان سيصبح من غير اللائق على الإطلاق أن تتلاشى صنعة الله بيد البشر إما بسبب إهمالهم أو بسبب غواية الشياطين.

7 - فطالما طال الفساد الخليقة العاقلة، وكانت صنعة االله في طريقها إلى الفناء، فما الذى كان يجب على االله الصالح أن يفعله؟ أيترك الفساد يسيطر على البشر، والموت ليسود عليهم؟ وما المنفعة إذن من خلقتهم منذ البدء؟ لأنه كان أفضل بالحرى ألاّ يُخلقوا بالمرة من أن يُخلقوا وبعد ذلك يُهملوا ويفنوا.

8- فلو أن االله أهمل ولم يبال بهلاك صنعته، لأظهر إهماله هذا ضعفه وليس صلاحه. ولو أن االله خلق الإنسان ثم أهمله لكان هذا ضعفًا أكثر مما لو أنه لم يخلقه أصلاً.

9 - لأنه لو لم يكن قد خلق الإنسان لما تجرأ أحد أن ينسب إليه الضعف. أما وقد خلقه وأتى به من العدم إلى الوجود فقد كان سيصبح من غير اللائق بالمرة أن تفنى المخلوقات أمام عينى الخالق.

س / هل التوبة كانت كافية لخلاص الانسان؟

لكن التوبة تعجز عن حفظ أمانة االله لأنه لن يكون االله صادقًا إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت (لأنه تعدى فحُكم عليه بالموت كقول االله الصادق). ولا تقدر التوبة أن تغّير طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطية.

تجسد الكلمة 7 :3

فلو كان تَعِدى الإنسان مجرد عمل خاطئ ولم يتبعه فساد، لكانت التوبة كافية. أما الآن بعد أن حدث التعدي، فقد تورط البشر في ذلك الفساد الذى كان هو طبيعتهم ونزعت منهم نعمة مماثلة صورة االله، فما هى الخطوة التى يحتاجها الأمر بعد ذلك؟ أو مَن ذا الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة االله الذي خلق في البدء كل شئ من العدم؟

تجسد الكلمة 7 :4

لأنه كان هو وحده القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم الفساد وأيضًا أن يصون صدق الآب من جهة الجميع. وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شئ وأن يتألم عوض الجميع وأن يكون شفيعًا عن الكل لدى الآب.

تجسد الكلمة 7 :5

➢ وجودنا الكيانى فى المسيح

وهكذا إذ اتخذ جسدًا مماثلاً لطبيعة أجسادنا ، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدّمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً: لكى إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب). ثانيًا: وأيضًا فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد. الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تُبيد النار القش .

تجسد الكلمة 8 :4

➢ فعل الله الكلمة كل شئ بالجسد لحسابنا

فلقد أدرك الكلمة جيدًا أنه لم يكن ممكنًا أن يُقضى على فساد البشرية بأى طريقة أخرى سوى الموت نيابة عن الجميع. ومن غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت بسبب أنه هو ابن الآب غير المائت. ولهذا اتخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى إنه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع، يصبح جديرًا ليس فقط أن يموت نيابة عن الجميع ، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به . ومن ذلك الحين فصاعدًا يُمنع الفساد من أن يسرى في جميع البشر بنعمة القيامة من الأموات . لذلك قَدّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدس وذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فورًا عن جميع نظرائه البشر.

تجسد الكلمة 9 :1

➢ ضرورة التجسد

وكما أنه لو كانت هناك صورة لشخص مرسومة على قماش مثبّت على لوحة خشبية وتلطخت هذه الصورة من الخارج بالأقذار، مما أدى إلى اختفاء ملامحها، ففي هذه الحالة لابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكي يمكن إعادة تجديد الصورة على نفس قماش اللوحة، فلا يلقى بالقماش ، لأن صورته رسمت عليه ، بل يُجدِّد الرسم عليه مرة أخرى.

تجسد الكلمة 14 :1

وعلى هذا النحو، فقد أتى إلى عالمنا كليّ القداسة ابن الآب، إذ هو صورة الآب، لكى يجدّد الإنسان الذي خُلِق مرة على صورته، ويخلّص ما قد هلك بمغفرة الخطايا، كما يقول هو في الأناجيل "جئت لكي أطلب وأخلّص ما قد هلك ".

تجسد الكلمة 14 :2

➢ التجسد محبة

لأن المخلّص تمّم بتأنسه عمليتى المحبة : (أولاً): أنه أباد الموت من داخلنا وجدّدنا ثانية. (ثانيًا): أنه إذ هو غير ظاهر ولا منظور، فقد أعلن نفسه وعرّف ذاته بأعماله في الجسد، بأنه كلمة الآب، ومدّبر وملك الكون.

تجسد الكلمة 16 :5

➢ التجسد لم يحد الكلمة ولم ينقص من نقاوته

وهذا هو الأمر العجيب، أنه بينما كان يتصرف كإنسان كان ككلمة االله يُحيي كل الأشياء وكابن كان كائنًا مع أبيه. ولذلك عندما ولَدَته العذراء لم يعتريه أي تغير (من جهة طبيعته الإلهية) ، ولا تدّنس بحلوله في الجسد، بل بالعكس فهو قد قدّس الجسد أيضًا.

تجسد الكلمة 17 :5

ورغم وجوده في كل الأشياء إلا أنه لم يستمد منها شيئًا، بل العكس فإن كل الأشياء تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها.

تجسد الكلمة 17 :6

لأنه أن كانت الشمس ـ التي خلقها هو والتي نراها وهى تدور في السماء ـ لا تتدنس عندما تلمس أشعتها الأجسام الأرضية، ولا تفقد نورها بسبب ظلمة هذه الأجسام، لكنها بالعكس تنيرها وتطهرها أيضًا؛ فبالأولى جدًا كلمة االله كليّ القداسة، خالق الشمس وربها ، لا يتدنس بمجيئه في الجسد، بل بالعكس، فلكونه عديم الفساد، فقد أحيا الجسد المائت وطهّره ، فهو الذى كُتب عنه " الذي لم يفعل خطية و لا وُجدَ في فمه مكر ".

تجسد الكلمة 17 :7

➢ من براهين ألوهية الكلمة أعمالة فى الجسد و موت المسيح أعطانا التبرير

ولما كان من الواجب وفاء الدين المستحق على الجميع، إذ ـ كما بيّنا سابقًا ـ كان الجميع مستحقين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وبعدما قدّم براهينًا كثيرة على ألوهيته بواسطة أعماله فى الجسد فإنه قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضًا عن الجميع ، أولاً: لكى يبرّرهم ويحررهم من المعصية الأول ، وثانيًا: لكي يثبت أنه أقوى من الموت، مظهرًا جسده الخاص أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع.

تجسد الكلمة 20 :2

وهكذا تم (فى جسد المسيح) فعلان متناقضان فى نفس الوقت: الأول هو: أن موت الجميع قد تم فى جسد الرب (على الصليب) والثانى: هو أن الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به. فلقد كان الموت حتميًا، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع لكى يوفى الدين المستحق على الجميع.

تجسد الكلمة 20 :5

➢ لماذا موت الصليب؟

لأنه إن كان قد جاء ليحمل اللعنة الموضوعة علينا، فكيف كان ممكنًا أن (يصير لعنة) بأى طريقة أخرى ما لم يكن قد قَبِلَ موت اللعنة الذى هو (موت) الصليب؟ لأن هذا هو المكتوب:" ملعون كل من علق على خشبة " .

تجسد الكلمة 25 :2

➢ لماذا القيامة في ثالث يوم؟

ولقد كان يستطيع أن يقيم جسده بعد الموت مباشرة، ويظهره حيًا، ولكن المخلّص بحِكمَة وبُعد نظر لم يفعل هذا لأنه لو كان قد أظهر القيامة فى الحال لكان من المحتمل أن يقول أحدهم إنه لم يَمُت بالمرة أو إن الموت لم يلمسه بشكل كامل.

تجسد الكلمة 25 :2

➢ **لماذا جسد إنسان؟**

ونجيب على عتراضهم هذا بجواب معقول قائلين إنه في البدء لم يكن شيء موجودًا بالمرة. فكل ما كان مطلوبًا هو مجرد "نطق" مع إرادة (إلهية) لإتمام الخلق. ولكن بعد أن خُلق الإنسان (وصار موجودًا) واستدعت الضرورة علاج ما هو موجود، وليس ما هو غير موجود، عندئذٍ كان من الطبيعي أن يظهر الطبيب والمخلّص فيما هو موجود لكى يشفي الخلائق الموجودة. لهذا السبب قد صار إنسانًا واستخدم جسده أداة بشرية.

تجسد الكلمة 44 :2

ثم ينبغي أن يُعرف هذا أيضًا، أن الفساد الذي جرى لم يكن خارج الجسد، بل كان ملتصقًا به، وكان الأمر يحتاج إلى أن تلتصق به الحياة بدلاً من الفساد حتى كما صار الموت في الجسد تصير الحياة في داخل الجسد أيضًا.

تجسد الكلمة 44 :4

وكما أنه من الطبيعي أن القش تفنيه النار، فإذا افترضنا أن إنسانًا أبعد النار عن القش فرغم أنه لم يحترق يظل مجرد قش قابل للاحتراق بالنار لأن النار لها خاصية إحراقه بطبيعتها. أما لو حدث أن إنسانًا غلّف القش بمادة الأسبستوس التي يقال عنها أنها لا تتأثر بالنار فإن القش لا يتعرض لإحراق النار فيما بعد إذ قد تحصن بإحاطته بمادة غير قابلة للاحتراق.

تجسد الكلمة 44 :7

وبنفس الطريقة نستطيع أن نقول عن الجسد والموت. إنه لو كان الموت قد أُبعِدَ عن الجسد بمجرد إصدار أمر من الكلمة لبقى رغم ذلك قابلاً للموت والفساد بحسب طبيعة الأجساد . ولكى لا يكون الأمر كذلك فإن كلمة االله الذي بدون جسد قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفساد يُرهب الجسد لأنه قد لبس الحياة كثوب وهكذا أبيد منه الفساد الذي كان فيه.

تجسد الكلمة 44 :7